مشروع طباعة الكتب السلفية (٥٩)

شرح ثلاثة الأصول وأدلتها والقواعد الأربع

لإمام الدعوة الشيخ

محمد بن عبدالوهاب بن سليمان التميمي

رحمه الله وأسكنه الله فسيح جناته

شرح فضيلة الشيخ

د. هيثم بن جميل سرحان

المدرس بالمسجد النبوي

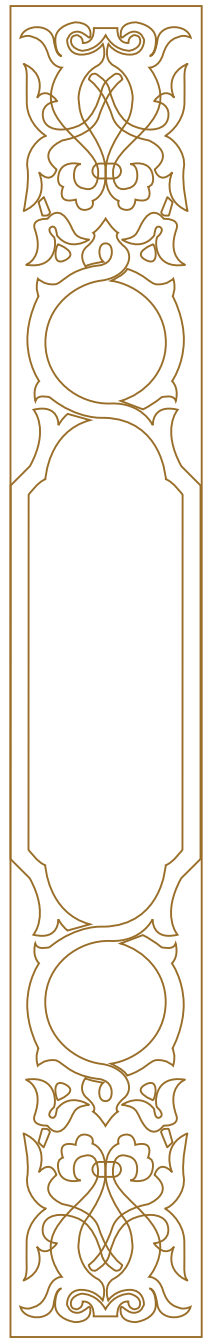

ثلاثة الأصول

وأدلتها

بسم الله الرحمن الرحيم

إنَّ الحَمدَ للهِ نَحمَدُه ونستعينُه ونَستغفرُه، ونَعوذُ بالله مِن شُرور أنفسِنا ومِن سيِّئاتِ أعمالِنا، مَن يَهدِه الله فلا مُضلَّ لـه، ومَن يُضلِل فلا هادِيَ لـه، وأشهَد أنْ لا إلـه إلَّا الله وحدَه لا شَريك له، وأشهَد أنَّ محمَّدًا عبدُه ورسولُه، أمَّا بعدُ:

مقدمة بين يدي الشرح

مؤلف هذا المتن

شَيْخُ الإِسْلَامِ ومُجَدِّدُ دَعْوَةِ التَّوحِيدِ، الإِمَامُ: مُحَمَّدُ بنِ عَبْدِالوَهَّابِ بنِ سُلَيمَانَ التَّمِيمِيُّ، كُنيَتُه: أَبُو الحُسَين.

وُلِدَ فِي العُيَيْنَةِ سنة (١١١٥هـ)، وتُوُفِّيَ فِي الدِّرعيَّةِ سنة (١٢٠٦هـ).

لماذا ندرس التوحيد؟

لأنَّ اللهَ خلَقنا مِن أجله	لا يَقبلُ الله أيَّ عملٍ إلَّا به
لا يَدخُل الجنَّةَ إلَّا موحِّدٌ	سببٌ لتكثير الحسنات
سببٌ لتكفير السَّيِّئات	سببٌ للهِداية واستقرار الأمن
سببٌ للطُّمأنينة	سببٌ لشفاعة النَّبيِّ ﷺ

سبب اختيار دراسة هذا المتن في بداية الطلب

اعتِناءُ سَلَفِنا الصَّالِحِ وعُلمَائنا مِن أَهلِ السُّنَّةِ والجَمَاعةِ بهذا المَتنِ المُبارَك؛ لِمَا فِيهِ مَن النَّفعِ والفَوائِدِ العَظِيمَةِ، الَّتي جَعَلتْهُ قاعِدَةً يَنطَلِقُ مِنها طالِبُ العِلْمِ ويَبنِي عَلَيها تَحصِيلَهُ العِلْمِيَّ الشَّرعِيَّ، فنَحنُ نَتأَسَّى بِهم ونَخْطُو خَطوَهُم في هَذا المَنهَج.

* كَما أنَّ عَوامَّ النَّاسِ أيضًا لا غِنى لَهم عن دِراسةِ هذا المَتن وما يَحتَوِيهِ مِن الأُسُسِ الَّتي لابُدَّ له أن يُؤمِن بها إيمانًا جَازِمًا لا يَحتَمِلُ الرَّيبَ والشَّكَّ.

يتميَّز هذا المتن - وكتب شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ اللَّهُ عامة - بـ :

- السُّهولَةِ والوُضُوحِ
- ذِكْرِ المَسائلِ مَقْرُونَةً بالدَّلِيلِ
- يَجمَع المسائل ويرتِّبها ويَذْكر لها عددًا؛ ومن ثمَّ يبدأ بالشَّرح
- الإكثارِ مِن الدُّعاءِ للقَارِئ والمُستَمِعِ لمؤلَّفاتِه

التعريف بالأصول الثلاثة

الأُصولُ الثَّلاثةُ باختِصارٍ هِيَ: أسئلةُ القَبْرِ الثَّلاثةُ

- مَن رَبُّك؟
- ما دِينُك؟
- مَن نَبِيُّك؟

ما هي الثمرة التي نجنيها من دراستنا للأصول الثلاثة ؟

أنَّك إذا تَعلَّمتَ الأصول الثَّلاثة، ثمَّ عملتَ بها، ثمَّ دَعوتَ إليها، ثمَّ صبرتَ على العلم والعمل والدَّعوة؛ أَجَبْتَ -بإذن الله- عن أسئلة القبر.

فهرست متن الأصول الثلاثة
يُقسّمُ هذا المتن إلى خَمسة أقسام، وهي :
١. المَسائلُ الأربَع (سورة العصر)
٢. المَسائلُ الثَّلاث (أقسام التَّوحيد)
٣. أهمِّيَّةُ دراسةِ التَّوحيدِ
٤. الأصولُ الثَّلاثة (أسئلة القبر)
٥. الخاتِمةُ

١. المسائل الأربعة

- ١. العِلمُ
- ٢. العَملُ به
- ٣. الدَّعوةُ إلَيه
- ٤. الصَّبرُ على الأذى فيه

٢. المسائل الثلاث

- ١. توحيدُ الرُّبوبيَّة والأسماءِ والصِّفات
- ٢. توحيدُ الألوهيَّة
- ٣. البَراءةُ مِن الشِّركِ وأهلِه (بالقلب واللِّسان والجوارح)

٣. أهمية دراسة التوحيد

الجَوابُ على السُّؤال: لماذا نَدرُس التَّوحيد؟

٤. الأصول الثلاثة

الأصولُ الثَّلاثةُ باختِصارٍ هي: أسئلةُ القبْرِ الثَّلاثةُ

- مَن رَبُّك؟
- ما دِينُك؟
- مَن نَبِيُّك؟

٥. الخاتمة

مِن قَولِ المُصنِّف رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «والنَّاسُ إذا ماتُوا يُبعَثون» إلى آخر المَتنِ.

أولًا: المسائل الأربعة

(١) سبب ابتداء المصنف المتن بالبسملة

١. اقتداءً بكتاب الله وبالأنبياء عَلَيْهِمُ السَّلَامُ.

٢. تأسِّيًا بمَن قَبله مِن العلماء والسَّلف الَّذين كانت مِن عادتهم بدء تصانيفهم بالبسملة.

٣. مِن باب التَّبرُّك باسم الله الكريم.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

(١) اِعْلَمْ رَحِمَكَ اللهُ:

(٢) أَنَّهُ يَجِبُ عَلَيْنَا تَعلُّمُ أَرْبَعِ مَسَائِلَ:

الأُوْلَى: العِلْمُ.

وَهُوَ: مَعرِفَةُ اللهِ، وَمَعْرِفَةُ نَبِيِّهِ ﷺ، وَمَعْرِفَةُ دِيْنِ الإِسْلَامِ بِالأَدِلَّةِ.

الثَّانِيَةُ: العَمَلُ بِهِ(٣).

(٢) كما أشَرنا في المقدِّمة؛ أنَّ مِن عادة المصنِّف أنَّه يَبدأ بالدُّعاء لطلَبة العِلم ويَسأل اللهَ لهم الرَّحمة؛ وفي هذا دليلٌ على:

- رَحمةِ علماء أهلِ السُّنَّة والجَماعة بطلَبَتِهم
- أنَّ الدِّينَ الإسلاميَّ مبنيٌّ أصلًا على الرَّحمة

العِلم: هو مَعرفةُ الحقِّ بدليلِه، وضِدُّه الجَهْلُ.

(٣) قِيلَ في بيان العِلاقة بَين العِلم والعَمل: «يَهتِفُ العِلمُ بالعَمل فإنْ أجابَه وإلَّا ارتَحل»، فلا فائدة في عِلمٍ غيرِ مقترِنٍ بعَمل. فإذا تَعلَّم وَجَبَ عليه أن يَعمل وإلَّا كان فيه شَبَهٌ باليهود؛ لأنَّ اليهود عندهم عِلْمٌ ولا عَمَلٌ ﴿يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمْ﴾.

وأوَّل مَن تُسعَّر به النَّار ثلاثةٌ؛ منهم: عالِمٌ تَعلَّم العِلم ولم يَعمَل به.

وَعَالِمٌ بِعِلْمِهِ لَمْ يَعْمَلَنْ مُعَذَّبٌ مِنْ قَبْلِ عُبَّادِ الوَثَنْ

الثَّالِثَةُ:

الدَّعْوَةُ إِلَيْهِ.

للدعوة شروط وضوابط يجب أن تقوم عليها، ومن أهمها:

١. أن تكونَ الدَّعوة خالِصةً لوَجهِ الله تعالى	٢. أن تكونَ الدَّعوة مبنيَّةً على العِلم الشَّرعيِّ	٣. أن تكونَ الدَّعوة بالحِكمة والصَّبر	٤. أن تتمَّ مراعاةُ أحوال المَدعوِّين

الدليل على هذه الشروط:

قولُ اللهِ تعالى: ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾

﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ﴾: المُشار إليه هو ما جاء به الرَّسولُ ﷺ مِن الشَّرع، والسَّبيلُ: هو الطَّريق.

﴿أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ﴾: الدَّاعي إلى الله هو المُخلِصُ الَّذي يُريد أن يُوصِلَ النَّاسَ إلى الله.

﴿عَلَىٰ بَصِيرَةٍ﴾: البَصيرة: هي العِلم، و تَشمَلُ هنا العِلمَ بـ :

١. الشَّرعِ	٢. حالِ المَدعُوِّ	٣. الطَّريقِ الموصلِ إلى المَقصود

كأنَّ المؤلِّف رَحِمَهُ ٱللَّهُ يقول: إذا تعلَّمتَ ثمَّ عَمِلتَ وَجَبَ عليكَ أن تَسيرَ على ما كان عليه النَّبيُّ ﷺ والصَّحابةُ والسَّلفُ الصَّالحُ؛ حيث قال اللهُ: ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى﴾، إذن لا بدَّ من الدَّعوة.

(١) ذَكَرَ المصنِّف رَحِمَهُ ٱللَّهُ بَعد الدَّعوة: الصَّبرَ، وكأنَّه يقول لكَ: إنَّ الَّذي يَسلُك هذا الطَّريقَ تَحصُلُ له أمورٌ كما حَصَلَتْ للأنبياء والرُّسل عَلَيْهِمُ ٱلسَّلَامُ؛ فلا بدَّ مِن الصَّبر.

الصبر

لغةً:	شرعًا:
الحَبْسُ	حبْسُ النَّفْسِ على أشياء وعن أشياء

الرَّابِعَةُ: الصَّبْرُ عَلَى الأَذَى فِيْهِ(١).

والدَّلِيْلُ قَوْلُهُ تَعَالَى:

﴿وَٱلْعَصْرِ ۝١ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ۝٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ﴾ (٢).

قسم الإمام ابن القيم رحمه الله - الصبر إلى ثلاثة أقسام:

١. الصَّبرُ على طاعةِ اللهِ حتَّى تُؤدَّى	٢. الصَّبرُ عن مَعصِيةِ اللهِ حتَّى تُجتَنب	٣. الصَّبرُ على أقدارِ الله المؤلِمةِ

(٢) بعد ذِكْرِ المسائلِ الأربعة ساقَ المصنِّف رَحِمَهُ ٱللَّهُ الدَّليلَ عليها مِن الكتاب؛ وهيَ سورةُ العَصْر. والمؤلِّف رَحِمَهُ ٱللَّهُ دائمًا يَذْكُرُ المسألةَ مقرونةً بالدَّليلِ، لماذا؟

حتَّى يُربِّيَ الطَّالِبَ على الاتِّباع لا على التَّقليد	حتَّى تكونَ عند الطَّالِب حُجَّةٌ يَردُّ بها على المخالِف	حتَّى يكونَ للطَّالِبِ قدرةٌ على استِنباط الأحكام من أدلَّتها على أُسُسٍ سَليمةٍ

قَالَ الشَّافِعِيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ﴿لَوْ مَا أَنْزَلَ اللهُ حُجَّةً عَلَى خَلْقِهِ إِلَّا هَذِهِ السُّورَةَ لَكَفَتْهُمْ﴾(١).

وَقَالَ البُخَارِيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ﴿بَابٌ: العِلْمُ قَبْلَ القَوْلِ وَالعَمَلِ﴾.

وَالدَّلِيْلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾.

فَبَدَأَ بِالْعِلْمِ قَبْلَ القَوْلِ وَالعَمَلِ(٢).

(١) مقصودُه رَحِمَهُ ٱللَّهُ أنَّ هذه السُّورة وَحدَها تكفِي لقيام الحُجَّة على الخَلْقِ ليَتعلَّموا ويَعمَلوا ويَدعوا ويَصبِروا.

فما بالكَ بباقي سور القرآن؟ فالقرآنُ كلُّه حُجَجٌ .

(٢) بوَّبَ أميرُ المؤمنينَ في الحديثِ كتابَه (صحيحَ البخاريِّ): ﴿بَابٌ: العِلْمُ قَبْلَ القَوْلِ وَالعَمَلِ﴾ وذَكَرَ الدَّليلَ، فلا بدَّ أوَّلًا مِن العِلم قبل القَول والعَمل.

فلا يَصحُّ أن يَعمَل بلا عِلْمٍ وإلَّا كان فيه شَبَهٌ بالنَّصارى.

ثانيًا: المسائل الثلاثة

(١) بدأ المصنِّف هذا الجزء من المتن بالدُّعاء للطَّالب.

وقد دَعا المؤلِّف رَحِمَهُ ٱللَّهُ في الأصولِ الثَّلاثةِ للطَّالِبِ في ثلاثةِ مواضع: في بدايةِ المسائلِ الأربعة، ثمَّ هنا عند المسائل الثَّلاثة. والمَوضِعُ الثَّالث: (اعلمْ أرشدكَ اللهُ لطاعتِه أنَّ الحَنيفيَّةَ ملَّة إبراهيم ...).

اِعْلَمْ رَحِمَكَ اللهُ: أَنَّهُ يَجِبُ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ وَمُسْلِمَةٍ تَعلُّمُ ثَلَاثِ هَذِهِ المَسَائِل، وَالعَمَلُ بهنَّ(١):

مقدمة قبل شرح المسائل الثلاثة

التوحيد

لغةً: مَصدر وحَّد يوحِّد توحيدًا.

وحَّد الشَّيء؛ إذا جَعَلَهُ واحِدًا.

شرعًا: إفرادُ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بما يَختصُّ به من الرُّبوبيَّة والألوهيَّة والأسماء والصِّفات.

ينقسم التوحيد إلى ثلاثة أقسام:

توحيد الرُّبوبيَّة

إفرادُ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بأفعاله.

أو: إفرادُ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بالخَلق والملْك والتَّدبير.

توحيد الألوهيَّة

إفرادُ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بالعبادةِ.

توحيد الأسمَاء والصفات

إفرادُ الله بما سمَّى ووَصَفَ به نفسَه في كتابه أو على لِسَان رسولِه ﷺ وذلك بإثبات ما أثبت لنفسه ونفي ما نفى عن نفسه من غير تحريفٍ ولا تعطيلٍ ومن غير تكييفٍ ولا تمثيلٍ

الأُولَى: أَنَّ اللهَ خَلَقَنَا وَرَزَقَنَا وَلَمْ يَتْرُكْنَا هَمَلًا بَلْ أَرْسَلَ إِلَيْنَا رَسُولًا، فَمَنْ أَطَاعَهُ دَخَلَ الجَنَّةَ، وَمَنْ عَصَاهُ دَخَلَ النَّارَ.

وَالدَّلِيْلُ قَوْلُهُ تَعَالَى:

﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَآ إِلَيْكُمْ رَسُولًا شَٰهِدًا عَلَيْكُمْ كَمَآ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ رَسُولًا ﴿١٥﴾ فَعَصَىٰ فِرْعَوْنُ ٱلرَّسُولَ فَأَخَذْنَٰهُ أَخْذًا وَبِيلًا﴾(١).

* الأسماءُ والصِّفاتُ توقيفيَّةٌ يُتوقَّفُ فيها على ما وَرَدَ في الكتابِ والسُّنَّةِ وذلكَ:

-بإثباتِ ما أثبتَه اللهُ سُبْحَانَهُوَتَعَالَى لنفسِه في كتابِه أو ما أثبتَه له رسولُه ﷺ.

-ونَفْيِ ما نَفاه اللهُ سُبْحَانَهُوَتَعَالَى عن نفسِه في كتابِه أو نفاه عنه رسولُه ﷺ، مثل: ﴿لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾، ﴿وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ﴾ مِن غير تحريفٍ ولا تَعطيلٍ، ومِن غير تكييفٍ ولا تَمثيلٍ.

«المسائل الثلاث» ودلائلها

- المسألة الأولى: توحيد الرُّبوبيَّة وتوحيد الأسماء والصِّفات
- المسألة الثَّانية: توحيد الألوهيَّة
- المسألة الثَّالثة: البَراءةُ من الشِّركِ وأهلِه

(١) المسألةُ الأولى أثبتَ فيها المؤلِّف رَحِمَهُ ٱللَّهُ توحيدَ الرُّبوبيَّة وتوحيدَ الأسماء والصِّفات، (أَنَّ اللهَ خَلَقَنَا) هو الخالِق، (وَرَزَقَنَا) الرزَّاق، (وَلَمْ يَتْرُكْنَا هَمَلًا) مُعطَّلِين لا أوامرَ ولا نواهيَ؛ (بَلْ أَرْسَلَ إِلَيْنَا رَسُولًا).

الغاية من إرسال الله الرسل عليهم السلام

- إقامةُ الحُجَّةُ على الخَلْقِ: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾
- الرَّحمَة: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ﴾

المسألةُ الثَّانية فيها إثباتُ الألوهيَّة لله تعالى.

قال المؤلِّف رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (أنَّ الله لا يَرْضَى أَنْ يُشْرَكَ مَعَهُ أَحَدٌ)؛ «أحدٌ» نكِرَة تَعُمُّ كلَّ أحدٍ؛ نبيٍّ، أو وليٍّ، أو جنِّيٍّ، أو ملَكٍ، أو صالِحٍ، أو غيره؛ كائنًا من كان.

وَالدَّلِيْلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا﴾

الثَّانِيَةُ: أَنَّ اللهَ لَا يَرْضَى أَنْ يُشْرَكَ مَعَهُ أَحَدٌ فِيْ عِبَادَتِهِ، لَا مَلَكٌ مُقَرَّبٌ، وَلَا نَبِيٌّ مُرْسَلٌ.

وَالدَّلِيْلُ قَوْلُهُ تَعَالَى:

﴿ وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا﴾.

في معنى المَساجِد ثلاث أقوالٍ -ويصحُّ الجمع بينها-

- المساجِدُ المبنيَّة الَّتي بُنِيَتْ حتَّى يُعبَدَ الله فيها
- أعضاءُ السُّجودِ
- الأرضُ: ﴿وجُعِلَتْ لِيَ الأرضُ مَسجِدًا وطَهورًا﴾

﴿لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا﴾: ﴿أحدًا﴾ نكرةٌ في سياق النَّهي، فتعمُّ كلَّ أحدٍ؛ ولذلكَ قال الإمام رَحِمَهُ ٱللَّهُ في أوَّلِ المسألةِ الثَّانيةِ (أَنَّ الله لا يَرْضَى أَنْ يُشْرَكَ مَعَهُ أَحَدٌ) يعني كائنًا مَن كان؛ نبيٌّ أو وليٌّ أو جنِّيٌّ أو صالِحٌ.

الثَّالِثَةُ: أَنَّ مَنْ أَطَاعَ الرَّسُولَ وَوَحَّدَ اللهَ لَا يَجُوزُ لَهُ مُوَالَاةُ مَنْ حَادَّ اللهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانَ أَقْرَبَ قَرِيبٍ، وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى:

﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَٰئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَٰئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾.

المَسالةُ الثَّالثةُ بيَّن فيها المؤلِّفُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ وُجُوبَ البَراءةِ مِن الشِّركِ وأهلِه.

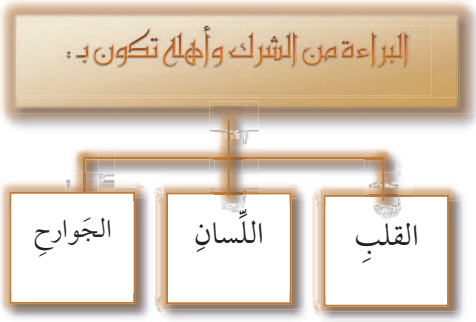

١- بالقلب، بأن تُبغِضَ الكفَّارَ وأعيادَهم واحتفالاتِهم وخُصوصًا الشِّركيَّاتِ والبِدعَ الَّتي عندَهم.

٢-باللِّسان، ﴿إِنَّنِي بَرَاءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ﴾

﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ ﴿١﴾ لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ﴿٢﴾ وَلَا أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ ﴿٣﴾ وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ ﴿٤﴾ وَلَا أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ ﴿٥﴾ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾.

٣- بالجوارِح، بعَدَمِ مشاركتِهم في احتفالاتِهم أو طُقوسِهم أو لِباسِهم أو فيما هُمْ عليه مِن مُعتقَدٍ.

ثالثًا: أهمية دراسة التوحيد

الحنيفية

لغةً: مأخوذةٌ من الحَنف وهو المَيلُ

شرعًا: هي المِلَّةُ المائلة عن الشِّرك المُقبِلَةُ إلى الإخلاصِ والتَّوحيد والإيمان. ﴿قَانِتَا لِلَّهِ حَنِيفًا﴾ يَعني مقبلًا إلى الله مدبِرًا عن الشِّرك، فالحَنِيفُ الَّذي يَرجِعُ دائمًا إلى التَّوحيد ويَبتعِدُ عن الشِّرك.

اِعْلَمْ أَرْشَدَكَ اللهُ لِطَاعَتِهِ: أَنَّ الحَنِيْفِيَّةَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ:

أَنْ تَعْبُدَ اللهَ وَحْدَهُ مُخْلِصًا لَهُ الدِّيْنَ، وَبِذَلِكَ أَمَرَ اللهُ جَمِيعَ النَّاسِ وَخَلَقَهُمْ لَهَا؛ كَمَا قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ (١).

وَمَعْنَى يَعْبُدُونِ: يُوَحِّدُونِ(٢).

وَأَعْظَمُ مَا أَمَرَ اللهُ بِهِ التَّوحِيْدُ؛ وَهُوَ: إِفْرَادُ اللهِ بِالْعِبَادَةِ(٣).

وَأَعْظَمُ مَا نَهَى عَنْهُ الشِّرْكُ؛ وَهُوَ: دَعْوَةُ غَيْرِهِ مَعَهُ.

(٣) يوضِّحُ هنا المؤلِّف رَحِمَهُ ٱللَّهُ لماذا نَدرُس التَّوحيد، وقد ذكَرْنا أهمِّيَّته سابقًا.

تعريف التوحيد - كما ذكرنا سابقا في المقدمة -

لغةً: مصدر وحَّد يوحِّد توحيدًا. وحَّد الشَّيء؛ إذا جَعَلَهُ واحِدًا.

شرعًا: هو إفرادُ الله بما يَختصُّ به من الرُّبوبيَّة والألوهيَّة والأسماء والصِّفات.

قال المؤلِّف: (ومعنى يعبدون: يوحِّدون)، وهذا هو قَول ابن عبَّاسٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا حيث قال: «إنَّ كلَّ عبادةٍ في القرآن معناها: التَّوحيد». ﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ﴾: وحِّدوا الله، ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ﴾: يا أيُّها النَّاس وحِّدوا ربَّكم.

رابعاً : الأصول الثلاثة

فَإِذَا قِيْلَ لَكَ: مَا الأُصُولُ الثَّلَاثَةُ الَّتِي يَجِبُ عَلَى الإِنْسَانِ مَعْرِفَتُهَا؟

فَقُلْ: مَعْرِفَةُ العَبْدِ رَبَّهُ، وَدِيْنَهُ، وَنَبِيَّهُ مُحَمَّدًا ﷺ (١).

فَإِذَا قِيْلَ لَكَ: مَنْ رَبُّكَ؟ فَقُلْ: رَبِي اللهُ الَّذِي رَبَّانِي وَرَبَّى جَمِيْعَ العَالَمِيْنَ بِنِعَمِهِ، وَهُوَ مَعْبُودِي لَيْسَ لِيْ مَعْبُودٌ سِوَاهُ. وَالدَّلِيْلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾(٢).

وَكُلُّ مَا سِوَى اللهِ عَالَمٌ، وَأَنَا وَاحِدٌ مِنْ ذَلِكَ العَالَمِ (٣).

(١) بَدأ المصنِّف رَحِمَهُ ٱللَّهُ بذِكْرِ الأصول الثَّلاثة، والمُتمثِّلة في أسئلةِ القبْرِ الثَّلاثة، وأثار انتباهَ القارِئ أو السَّامع بسؤالٍ، وأجابَ عليه.

(٢) وضَّح المُصنِّف رَحِمَهُ ٱللَّهُ الأصلَ الأوَّلَ وبيَّن أنَّ الرَّبَّ والمُستحقَّ للعِبادة هو الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وذَكَرَ الدَّليلَ، وهو قول الله تعالى: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾، فالرَّبُّ هو المَعبودُ.

﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ هذه الآية جمعت أنواع التوحيد الثلاثة:

﴿ٱلْحَمْدُ﴾	﴿لِلَّهِ﴾	﴿رَبِّ﴾
فيه إثباتُ توحيدِ الأسماء والصِّفات.	فيه إثباتُ توحيد الألوهيَّة	فيه إثبات توحيد الرُّبوبيَّة

(٣) أي: كلُّ ما سِوى الله مَخلوقٌ، وإذا كنتُ مخلوقًا لابدَّ أن أقومَ بشكرِ الخالِق المنعِمِ المتفضِّلِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

(١) شَرَعَ المؤلِّفُ في ذِكْرِ مجموعةٍ مِن الآيات الكونيَّة والمخلوقاتِ الَّتي تدلُّ على وُجودِ الله، والَّتي تُثبِتُ أنَّه لا ربَّ و لا خالِقَ و لا مَعبودَ بحَقٍّ إلَّا الله. وساق عليها الأدلَّة من القرآن كما هي مذكورةٌ في المَتن.

* وكلُّ مَخلوقٍ هو آيةٌ على وُجود الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، ولكن غايَرَ شيخُ الإسلام محمَّد بنِ عبد الوهَّاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ بَين الآية والمَخلوق؛ لأنَّ الآيةَ تتغيَّر؛ مِثل اللَّيل والنَّهار، والَّذي يتغيَّر يكون فيه قوَّةُ دليلٍ عن الَّذي لا يَتغيَّر.

(٢) هذه الآية في سُورةِ البقرة، قال بعضُ العلماء: إنَّ هذه الآية فيها أوَّلُ نداءٍ في القرآن: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ﴾. وفيها أوَّلُ فِعْلِ أَمْرٍ في القرآن ﴿ٱعْبُدُواْ﴾ أي وحِّدوا.

وفيها أوَّل نَهْيٍ في القرآن: ﴿فَلَا تَجْعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ نَهْيٌ عن الشِّرك.

(٣) يعني أن المنفرِد بتوحيد الرُّبوبيَّة يجب أن يُفرَد بتوحيد الألوهيَّة.

فَإِذَا قِيلَ لَكَ بِمَ عَرَفْتَ رَبَّكَ؟ فَقُلْ: بِآيَاتِهِ وَمَخْلُوقَاتِهِ، وَمِنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالقَمَرُ، وَمِنْ مَخْلُوقَاتِهِ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالأَرَضُونَ السَّبْعُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَمَا بَيْنَهُمَا .

وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِ ٱلَّيْلُ وَٱلنَّهَارُ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ ۚ لَا تَسْجُدُواْ لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَٱسْجُدُواْ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾.

وَقَوْلُهُ: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ (١).

وَالرَّبُّ هُوَ المَعْبُودُ، وَالدَّلِيْلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ فَلَا تَجْعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ (٢).

قَالَ ابْنُ كَثِيْرٍ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الخَالِقُ لِهَذِهِ الأَشْيَاءِ هُوَ المُسْتَحِقُّ لِلْعِبَادَةِ»(٣).

وَأَنْوَاعُ العِبَادَةِ الَّتِي أَمَرَ اللهُ بِهَا(١): مِثْلُ الإِسْلَامِ، وَالإِيْمَانِ، وَالإِحْسَانِ؛ وَمِنْهُ الدُّعَاءُ، وَالخَوْفُ، وَالرَّجَاءُ، وَالتَّوَكُّلُ، وَالرَّغْبَةُ، وَالرَّهْبَةُ، وَالخُشُوْعُ، وَالخَشْيَةُ، وَالإِنَابَةُ، وَالاسْتِعَانَةُ، وَالاسْتِعَاذَةُ، وَالاسْتِغَاثَةُ، وَالذَّبْحُ، وَالنَّذْرُ، وَغَيْرُ ذَلِكَ مِنْ أَنْوَاعِ العِبَادَةِ الَّتِي أَمَرَ اللهُ بِهَا، كُلُّهَا لِلهِ تَعَالَى. وَالدَّلِيْلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا﴾.

فَمَنْ صَرَفَ مِنْهَا شَيْئًا لِغَيْرِ اللهِ فَهُوَ مُشْرِكٌ كَافِرٌ، وَالدَّلِيْلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَمَن يَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ لَا بُرْهَٰنَ لَهُۥ بِهِۦ فَإِنَّمَا حِسَابُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾.

وَفِي الحَدِيْثِ: «الدُّعَاءُ مُخُّ العِبَادَةِ».

وَالدَّلِيْلُ قَوْلُهُ تَعَالَى:

﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِى سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾.

عقَّبَ المؤلِّفُ على قول ابنِ كثيرٍ بذِكْرِ عَددٍ من العباداتِ القلبيَّة والبدنيَّة مع الدَّليلِ من الكتاب لكلِّ عَمَلٍ، على النَّحوِ التَّالي:

أمَّا إن اعتقد أنَّ لهذا المدعوِّ تصرُّفًا خفيًّا في الكون وبيده جَلْبُ المنافع ودَفْعُ المَضارِّ؛ فهذا شركٌ.

❖ ملحوظةٌ:

نحن نَدرُس الحُكم على الفِعل، أمَّا الحُكم على الفاعِل فيحتاج إلى إقامَةِ الحُجَّة وانتفاءِ الشُّبهةِ.

والعلماءُ هُم من يَحكم على الفاعِل أنَّه مؤمنٌ أو كافرٌ.

انقسم الناس في الاعتقاد في الأسباب إلى ثلاثة أقسام:

قِسمٌ يَعتَقِد ويَجعَل ما جعله الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى سببًا سببًا؛ وهذا صَحيحٌ	قِسمٌ يَعتَقِد ويَجعَل ما لم يَجعلْه الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى سببًا سببًا؛ وهذا شِركٌ أصغرُ	قِسمٌ يَعتَقِد أنّ السَّببَ مؤثِّرٌ بذاتِه وبِيَده جَلْبُ المنافِع ودفع المَضارِّ؛ فهذا شِركٌ أكبرُ

أسبابٌ شرعيَّةٌ	أسبابٌ حسِّيَّةٌ
كالرُّقية الشَّرعيَّة، فقد جَعَلَ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى الرُّقية سببًا شرعيًّا لرفع المرض.	كالدَّواء، فقد جَعَلَه الله سببًا للشِّفاء.

الحديث «الدُّعَاءُ مُخُّ العِبَادَةِ» حديثٌ ضعيفٌ، والصَّحيحُ قولُ النَّبيِّ ﷺ: «الدُّعَاءُ هُوَ العِبَادَةِ».

كيف يكون الدعاء هو العبادة؟

الآية تدلُّ على هذا: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾.

قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿عِبَادَتِي﴾ فهذا دليلٌ على أنَّ الدُّعاءَ عبادةٌ.